الأبحاث

بقلم مطاع صفدي

***

ان اكثر الابحاث التي كتبت حول المقاومة العربية ، والفلسطينية حاولت ان تتحاشى مواجهة المشكلات الحقيقية ، التي تثيرها فعالية المقاومة ، بالنسبة للفكر الذي ترفعه او تتغذى منه ، ولاساليب الممارسة التي تتبعها ، وللعلاقات اليومية التي ترتبط بها مع المنظمات والاحزاب والدول .

ولقد فضل الكتاب المنظرون للمقاومة ، بحث مشكلاتها من خلال اصطناع المشكلات النظرية التي يقراونها في الكتب الثورية . هذا فضلا عن محاولات جذب المقاومة الى أطر وشعارات معينة ، لا تثيرها ممارسة المقاومة ، او على الاقل لا تحتاج الى مواجهتها بصورة فاصلة حاسمة ، ولقد سعى هؤلاء المنظرون الى تبرير الصورة الفكرية التي تطرحها منظمة ما ، او فئة حزبية ما ، نريد ان تحمل المقاومة شخصيتها الايدلوجية الخاصة .

ولذلك فان المقاومة ، كفعالية واقعية ، وكثورة متحققة فعلا ، بقيت مجهولة على صعيد الفكر الموضوعي ، غائبة عن ساحة التحليل الذي يريد ان يكشف حقا عن طبيعتها ، وان يوضح السياق الفكري الثوري الجديد الذي تتحرك فيه ، دون ان تعيه تماما ، او دون ان تبرزه وتبلوره في شكل منظومة عقائدية متميزة .

ومحاضرة الدكتور عصمت سيف الدولة « المقاومة من وجهة نظر موقتة » ، تنطلق ولا ريب ، من هذا الشعور بوجود المقاومة فعلا وواقعا ، ومن غياب فكرها الخاص في الوقت نفسه ولذلك تاتي هذه المحاضرة كاول محاولة جدية للاحاطة بالاسئلة المصيرية التي تثيرها المقاومة ، الى جانب السعي لاقتراح آفاق محددة للاجوبةعلى تلك الاسئلة .

ومن الملاحظ ان الدكتور عصمت يعي اصلا حركة التجاذب التي يتعرض لها فكر المقاومة من خلال بؤر التحزبات والاطر السياسية السابقة على وجود المقاومة ذاتها ، والتي تجتهد كيما تهضمالمقاومة وتتسلق على سمعتها الشعبية من ناحية اخرى ، وتلح عليهابفكرها الخاص ، حتى تجعلها تفقد هويتها الاساسية وتتاثر بالوحي الخارجي ، ليصبها هو صورتها عند ذاتها .

وهنا يبادر الدكتور عصمت ليضع المقاومة في موضعها الصحيح من حركة التقدم العربي ، فيجعلها اسلوبا جديدا للممارسةالثورية تتخذ السلاح اساسا للتغيير ، وطريقة مباشرة للرد على الغزو الصهيوني من جهة ، وبتعبئة الجماهير العربية وراءها من جهة اخرى ، لتحريك الدفع الوحدويوبناء التنظيم الثوري الاشتراكي، الذي يقيم بدوره دولة الوحدة ويعصف بالهياكل الاقليمية ، ويخوض المعركة التاريخية مع الصهيونية والامبريالية لاول مرة بقوى الامة الموحدة قوميا ومضمونا ثوريا تقدميا .

ولذلك فان الكاتب يجد ان ما يعيق هذه الاستراتيجية ، وما يضع في طريق نموها الطبيعي العقبات الذاتية ، من داخل القوى الثورية نفسها ، هو فخ الاقليمية الذي تتساقط فيه ايدلوجيات وتنظيمات وانظمة معينة ، وتحاول ان تسقط معها المقاومة ،وتحبسها في قواقع الاقليمية تحت تبريرات ثورية مختلفة .

ولكي يصل الكاتب الى دحض افخاخ الاقليمية ، فانه ينطلق اساسا من الموقفين اللذين استقطبا في الماضي الفكر الثوري العربي ما بين القطب القومي ، والقطب الاشتراكي . وهو يفترض ان التناقض كان واقعا بين هذين القطبين وما زال . وبالتالي فانه يلجا الى تبديد هذا التناقض ، وخاصة بالنسبة الى (بعض) الاشتراكيين ، الذين يصنفهم الكاتب بانهم من ذوي الفكر الجامد . ولعله يريد ان يقول ان هؤلاء الاشتراكيين ما زالوا يرفضون الاحتواء القومي العربي للثورة الاشتراكية التقدمية ، ويقدمون مقابل هذا الاحتواء ، الاطارات الاقليمية والقطرية . ويصور الكاتب الصراع الذي كان يحتدم بين القوميين وبعض هؤلاء الاشتراكيين ، قبل الهزيمة . ويعتبر ان القوميين لم يقدموا فكريا الصياغة الكاملة لمعنى الاحتواء القومي للثورة التقدمية ، كما ان الاشتراكيين تجاهلوا دائما اهمية الامكانيات القومية للثورة التقدمية .

وجاءت الهزيمة لتضع حدا لنموذج المواجهة الاقليمية،ولتبرهن للمرة الثالثة ، ان معركة العرب مع الصهيونية ستظل تؤدي الى الهزائم ، ان لم تتحطم اقليمية المواجهة العربية ، كدول وجيوش وانظمة واحزاب ، محصورة باهتمامات محلية ، ومستندة الى امكانيات ممزقة ضعيفة .

ويلخص الكاتب الموقف الحاضر بخمس نقاط هامة ، وهي ان الغزو الصهيوني يستهدف اقطارا عربية كاملة تمتد من النيل الى الفرات ، ولا تقف عند حدود فلسطين . وان التجزئة قد ساعدت الصهيونية دائما على التحرك في خط التوسع ، وفي غيبة تنظيم قومي يتصدى للمواجهة المصيرية مع العدو الغازي . وان الدول العربية المجزأة قد خسرت الحرب ثلاث مرات ، لانها دخلتها بمصلحة قطرية وذهنية قطرية كذلك ،دون ان تكون لها ارادة تحرير فلسطين فصلا وواقعا .

والنقطة الرابعة ان الغزو الصهيوني الاخير قد اكتسح مناطق واسعة من اقطار عربية متعددة . فلم يعد بامكان هذه الاقطار ان تقبل الهزيمة كما قبلتها على ارض فلسطين ، ولا المقاومة على ارضها ، كما قبلتها على ارض فلسطين . وبذلك اصبحت طرفا اساسيا في المعركة ، لا من اجل فلسيطن ، بل من اجل اراضيها المحتلة كذلك .

والحقيقة الخامسة هي ان هزيمة حزيران قد دفعت بقوى الجماهير العربية الى المقاومة المسلحة ، فلم تعد المعركة اذن كما كانت سابقا بين اسرائيل والدول العربية فقط ، ولكن الطرف الثالث الان هي الجماهير التي تمثلها المقاومة .

باعتقادي ان هذا التحديد للموقف ، يقدم اهم البراهين الواقعية على اساسية الاحتواء القومي للاستراتيجية الثورية .وان اكبر تناقض يرتكبه بعض الثوريين ، هو الالحاح على بناء هذه الاستراتيجية من افق اقليمي ، سواء كان على صعيد الثوار الفلسطينيين ، او صعيد بعض الاشتراكيين .

ولذلك عندما يتعرض الكاتب الى مناقشة الدعوة القائلة بان المقاومة هي تعبير فلسطيني عن خروج الشعب الفلسطيني من العزلة التي اوقعته سجينا فيها الدول العربية طيلة عشرين عاما فانه يجد ان المعزول ليس الفلسطيني وحده ، ولكن العربي بصورة عامة . وان الحل الان ليس بتحرير الفلسطيني وعزل العربي .وليس باطلاق المقاومة وقطعها عن ينابيعها الثورية في ثورية الجماهير العربية وراءها ومعها .

واذا كان ثمة من تعليل احيانا بضرورة احياء المواطنة الفلسطينية ، لهدف التعبئة والتحريض المثالي ، والتجميع لشتات الشعب ، او لضرورة الدعاية للمقاومة في الاوساط الغربية ،وابراز وجهها الفلسطيني مجردا عن اطاره العربي الذي ما زال يثير بعض التفسيرات الشوفينية في اوساط يسارية غربية ، اذا كان الامر كذلك ، فان ابراز الثورة الفلسطينية من خلال اطار ثورة عربية جماهيرية جديدة ، سوف يخدم هذين الهدفين ، بافضل مما لو اخترعنا اسما لشعب ، كان دائما مصطلحا جغرافيا لا يقدم سمات خاصة او يعبر عن تكوين مستقل لشعب ، هوومروبته التاريخية شيء واحد .

ـ التتمة على الصفحة ـ ٩٢ ـ

القصائد

بقلم علي الجندي

* * *

ان للشعر حرمة تجعل الدخول الى رحابه « نقديا » عملا مرهونا، تحاشيته منذ سنوات عديدة ، وافتحام عالم عشر قصائد لعشرة شعراء ـ في العدد الماضي من الآداب ـ عمل ما كنت لاقوم به لولا وعدي.

وبين هؤلاء الشعراء العشرة اثنان ـ على الاقل ـ غدت لهما هما ايضا حرمة من نوع خاص ، بالنسبة لغالبية القراء .. ولهذا تبدو لي المهمة صعبة ومحرجة .. ومع ذلك ، لا بد مما ليس منه بد ..

ان جو القصائد العام قاتم ـ يبدو خانقا احيانا ـ سلبي ، ممزق ، ورافض ، رافض للواقع كما هو ، وربما احيانا في بعض القصائد ،هو رافض حتى لواقع متخيل، وان كانت قصائد اخرى تناضل من اجل عالم جديد .. ولو قام على الانقاض ..

ترى اوليس في كل اقطار وطننا العربي الكبير من النماعة ضوء ؟ ـ الشعراء العشرة عن اكثر من قطر عربي ... على كل حال ، ما يهمني هو كيف عبر هؤلاء الشعراء عن رفضهم ، وربما عن قرفهم، وتشاؤمهم او ـ اذا صح التعبير ـ عن هروبهم او انهزامهم او رغبتهم في الانهزام والهروب ؟

وكملاحظة اولى ، انني لاول مرة اقرأ كل هذه « الكمية » من الشعر لعدة شعراء دفعة واحدة ، ولهذا فان انطباعا غير حسن،ولكنه مبشر بالخير في الوقت نفسه ، هو الذي فاجأني . ان الشعر الجديد الذي نؤمن به ، ما يزال قلقا متلجلج الخطوات ، ضائعا بين النفس الكلاسيكي ، والروح الجديد ، ان عليه جميعا طابع التجريب ، فحتى الرواد في الموجة الجديدة ما يزالون يحاولون تغيير اسلوبهم ،وتجاوز انفسهم فيما ابدعوه حتى الان ، يميلون حينا للتراث واخرلحضارة الغرب فيتارجحون بين الاثنين ـ ربما كان خليل الحاوي هو الوحيد الذي يسلم من ذلك ـ انني لست ضد تجاوز النفس ولكن على ان يكون من خلال شخصية شعرية موحدة ، تبدع وتتغير ونظل لها وحدتها او هويتها الفنية في التغير ربما كان الشبان الصغار سنا معذورين في ذلك اما بالنسبة لشعراء جيلنا فالقضية توحي بتساؤل جذري ،حول حقيقة ايمان الشاعر بما اعطى حتى اليوم ...

... على كل حال ، في اعتقادي ان هذا « الرفض » وهذه القتامة والروح السوداء ليست وليدة « النكسة » كما يحاول بعض الباحثين والنقاد تصوير المشكلة بنوع من التبسيط ، فعودة عابرة الى اعداد من « الآداب » بالذات قبل الخامس من حزيران ترينا ان الروح التي كانت تسود « اغلب » شعر الشباب في ذلك الحين لم تكن كذلك أقل قتاما .. والتفسير بمرض العصر ، وقلق المرحلة التاريخية ليس السبب الحقيقي ايضا .. واسوأ من ذلك التفسير القائل بان المشكلة تقليد للشعر الغربي فقط و «مودة » الضياع والتعاسة وما الى ذلك ..

ربما كانت كل هذه الاسباب معا هي السبب ، وربما كان لكل شاعر ظروفه الخاصة ، التي يصعب البحث عنها في قصائد لاكثر من شاعر في عدد واحد من مجلة شهرية .. والبؤس ، او الرفض، المفاجيء على بعض الشعراء بعد حزيران أيضا ليس زيفا تماما ولكنه نوع من الزيف ... انه موقف مفتعل ...

ان الروح الحزيرانية كانت تتسرب من تحت ارض الفنانين العرب عموما قبل الهزيمة ... انه الاحساس بالعجز ، بانكفاء الرغبة ،وكبح التحفز بالعجز .. ان نوعا من الاحساس « بالعنة » وهو الذي ينغل تحت كل المظاهر في انساننا العربي .. ولنسم سبب ذلك ما شئنا .. وذلك في ظني هو الذي ما يزال مثل الكابوس يربض على نفوسنا ..

فلنبدأ باولى قصائد العدد « قاع المدينة » لمحمود درويش ،

شعر هذا الشاعر احدث منذ سنوات ، ليس في سياق شعرنا المعاصر فحسب ، ولكن في وجداننا الوطني ايضا ، زلزلة كادت ان تكون مفاجئة .. ذلك لانه شعر يبدهك بدم التجربة المريرة التي يعيشها الشاعر يغطي هذا اليوم قسمات وجهه .. يحني يديه وشفتيه .. ويدهشك بصوره المفاجئة ، الطازجة ، والساذجة احيانا ..

انه شعر انيس ، أليف ، قريب الى القلب ـ ربما كانت بيئةولادته المنفية سببا لذلك تحس ازاء كل قصيدة انك تعرفها من قبل ، انها قريبة منك ، كانك احيانا أنت قائلها ، او الشاعر باحاسيسها على الاقل ـ ربما كان هذا اعجازه وخلل شعره في الوقت نفسه .

والشاعر ـ ربما لانه اطمأن الى (حبنا القاسي) له ـ غدا يحاول تجاوز نفسه ، التأثر بآخر مويجات التجديد عندنا ، لهذا فان قصائده الاخيرة في « حبيبتي تنهض من نومها » بشكل خاص ، صارت اكثر غموضا ، وصار اللمح من بعيد جدا يكاد يكون اسلوبه في تناول اطراف تجربته النرابية القاسية .. اننا في قصيدته هذه لا نكاد نميز بين المباشرة واللامباشرة ، فحتى الموت يكاد يصبح رمزا ، والذات والآخر يتناوبان محل بعضهما .. فقاع المدينة ، هل هو قاع الذات ام قاع القضية ـ المأساة ؟ ولكن القصيدة تظل مع ذلك نغما درويشيا ـ صارت الصفة ممكنة بعد الشهرة الصاعقة للشاعر ـ يدخل الى النفس هادئا او شرسا ، مطمئنا الى ان ابوابها المغلقة تتفتح من ذاتها امامه ... ، وصوره المفاجئة البالغة السهولة والصعوبة معا هي هي صوره التي جعلت منه اكثر الاصوات جرحا في سمفونية قضيتنا الجارحة : أم لعلي اسرفت انا الآخر في ـ حبي الجارح ـ للشاعر فلم اعرض للمساوىء؟

اما القصيدة الثانية فهي لعبد الوهاب البياتي ، وهي ايضا عن المدينة (مرثية الى المدينة التي لم تولد بعد) والبياتي اصبح ذا تراث ضخم ، ولهذا فان الكتابة عن قصيدة واحدة له عمل محرج ، وربما صعب ... ، انه شاعر مدينة اذا ما قورن بمعاصره السياب ... ولكنه بين الشعراء ، الشتام الاول للمدينة .. ، حتى ليكاد في بعض قصائده عنها وهي احيانا رمز ، واحيانا اخرى واقع ، يشعرنا بالنفور منها ، بل بالتقزز مما يعرضه عنها من صور ، والالفاظ التي لو لم تكن من شعر عبدالوهاب كانت تبدو نابية ، لا بد من الذباب ، والقمامة ، وحتى اللوطي والشرطي والقواد وما الى ذلك ، انه مغرم بنقل قرفه الى الآخرين من خلال الفاظ تجرح الحس ... كانها نصال تهددك وتدفعك الى الهرب الى جو اكثر نقاء ... وقصيدته هذه مليئة بالفاظ نعيسة : الغربة ، التجوال ، الموت ، منفى الفقر ، عالمها السفلي ، الاسمال ، خرق المهرج ... كل ذلك والقصيدة تمتد على اقل من صفحة ... انه ناقم على مدينته ، ربما مدنيته ، رافض لها في سبيل اخرى تشبهها ولكن بعد ان وجدت خلاصها وتزيت بالشباب من جديد ..

البياتي في المرحلة الاولى من شعره ، الممتدة منذ ثلاث او اربع سنوات حتى اليوم ـ يحاول عبثا تجاوز البياتي السابق شكليا بشكل خاص حتى ليكاد يقع تحت تأثير شعراء آخرين احيانا ، مع انه من الافضل له لو انه ـ اذا كان قد كان واثقا مما ابدع خلال عشرين سنة يحاول الابداع في المضمون ـ كما يفعل فعلا ـ فيتابع سبيله النبوي بشيرا ونذيرا بمدينة فاضلة ... والا فما هو مبرر تكرار فكرة قديمة باساليب جديدة وفي (الذي يأتي ولا يأتي) مثلا ما يغني عنها ؟؟

والقصيدة الثالثة هي (محاورات مع الباب العالي) لعز الدين المناصرة . ومن أولى قصائد هذا الشاعر التي قرأتها ـ أحسست بأن شعره ينسرب الى النفس انسرابا ، مثلما ينساب جدول ربيعي بين أعشاب غضة ، فيه بساطة اخاذة وراءها معاناة حادة تحز الانسان دون ان تجرحه ، وهو يبدو طموحا لا يرضى عن المستوى الذي يصل اليه ، وفي ذلك خير وخطر ، فطابع التجريب اذ اصبح عادة شعرية يفقد الشاعر طابعه يظهره بمظهر غير الناضج ، وان كان يعطيه خاصية

ـ التتمة على الصفحة ـ ٩٤ ـ

القصص

بقلم خلدون الشمعة

ـ ١ ـ

يبدو ان البحث عن مقدمات نظرية لعملية تقييم ما .. عادة سيئة دائما . فهو اما ان يكون تبريرا لجريمة قتل معنوي ، او نسويفا لطفوس تتويج نقدي ، او فرارا من تقديم كشف تقييمي ، او عملية بلورة لمدخل نظري لمشروع استعراض تطبيقي لنظرية الادب ، او محاولة لشل سيالة الاكتشاف البدائي لدى القارىء ، ومن ثم دفعها في قنوات جديدة ، او سعيا للعثور على محطة يمكن الانطلاق من أرضيتها لتحميل العمل الادبي بمعان وآفاق مختلفة قد لا تمت اليه بصلة ضعيفة او وثقى ...

غير ان عبث هذه المقدمات ـ بالنسبة لنقد القصة القصيرة بوجه خاص ـ يتأكد مرة اخرى على ضوء الحقيقة القائلة ان القصة القصيرة التي استهلكت معظم الاساليب وانماط التعبير التي يمكن ان يحققها الوعي واللاوعي ، وتجاوزت مرحلة المد والجزر ، والدفع والجذب ، على سطح الخارطة الاجتماعية والتعبيرية للادب العالمي، بحيث اعطت اشارة المرور الخضراء لالف مدرسة ومدرسة في تقديم الواقع ، واستيعابه ، واحتوائه ، وتأويله ، والتمرد عليه او الاستسلام له ولما يطرحه من اشكالات ،قد اصبحت فنا كهلا . وبالتالي فهي تتيح للناقد قدر ما تتيح للقاص ، استخدام منظور واسع للرؤية، دون ان تدخل محاولة كل منهما في اطار تجريبي .

اذن فالمهم ان نطرح ملامح اساس ضابط الرؤية ، للقصص التي سنتناولها بالنقد ، فما هو هذا الاساس النقدي الضابط الذي نبحث عنه ؟.. ان هذا الاساس سيكون مرتبطا بالضرورة بالمرحلة العصيبة التي تمر بها الامة العربية في الوقت الراهن . ولذلك فهو اساس تاريخي يستمد قيمته من شحنة الوعي التي يمكن ان يكهرب القارىء بها ، وان يزيد من قدرته على استيعاب الازمة ، واحتواء الواقع ، وادراك ابعاد المأساة ـ الملهاة ، لقد قال الناقد الشهير«ريتشاردز» مرة ان الادب كهرباء .

وهذا التعريف يمكن ان ينطبق على القصة القصيرة قدر انطباقه على الشعر ، ذلك ان الهدف الاساسي ، وأكاد اقول النهائي للفن، هو القيام بدور الصدمة الكهربائية للقارىء ، والاخلال بتوازنه ، والايحاء له بأن السكون في الاحداث ليس سكونا في الواقع اليومي، وانما هو سكون في وعيه وقدرته على الاستقبال .

وعلى ذلك فان العلاقة بين الادب والمجتمع تصبح شديدة الحدة والحساسية . وبالتالي يمكن القول ان الادب « مؤسسة اجتماعية ،وان الابتكارات الادبية اجتماعية بطبيعتها .. وحتى الرمزية لا يمكن ان تظهر الا في مجتمع فقط ... » (١) .

وانطلاقا من هذا المنظور الذي يؤكد على دور الشكل الاساسي في ايصال المعنى ، يمكن تناول المحاولات القصصية الخمس التي ظهرت في عدد كانون الثاني من « الآداب » . فهي تنقسم الى فئتين : الفئة الاولى تنتمي اليها قصة « النموذج » لنواف ابو الهيجاء ،و«الحكاية» لنيروز مالك ، و« رجل على الاكتاف » لعبدالرحمن الربيعي . وهي تستفيد الى أبعد مدى من امكانات الهندسة ، الا انها تنطلق من الهندسة لتصل الى الموضوع . واما قصص : « قطعة سلاح يا رب » لاكرم شريم و« الزنبقة في ظل السقوط » للطفية الدليمي فهما اقل طموحا واشد التصاقا بالمفهوم التقليدي للقصة القصيرة (وان كانتا لا تحققانه) .

(1) Jheory of literature By René Wellek and Austinwarren P.94

وتحقق قصص الفئة الاولى ـ بدرجات متفاوتة ـ البديهية التي اصبحت تتوج هذا الفن الكهل ـ القصة القصيرة ـ وهي انها تعتمد في جوهرها على الطريق الذي تسلكه . وبعبارة أخرى فان طريقة القص اصبحت هي القصة نفسها . ليس المهم في قصة « حذاء ابي القاسم الطنبوري » ـ احد ىقصص الف ليلة وليلة ـ القول بانها تدور حول فكرة بالذات ، وانما المهم ان طريقة ترتيب قطع الموزاييك التي يتألف منها نسيج القصة قد بلغت حدا من الاتقان والاحساس بالهدف جعلها قادرة على الاستحواذ على القارىء واقتحام مدار عزلته دفعة واحدة . لقد اهترأت الافكار فعلا .. الا ان طريقة القص هي التي تسبغ عليها غلالة التأثير . وعلى هذا فأن السؤال :« الى اي مدى استطاعت قصص العدد الماضي من الآداب ان تكهرب احساس القارىء ، وان تثير ما لديه من شحنات في الوعي ؟ » لا يتصل بكون معظمها يدور حول موضوع فلسطين مباشرة ، قدر ما يتصل بالعمارة والهندسة والتكنيك . ان دراسة موضوعية وجادة عن « فلسطين » قمينة بان تحدث الاثر المطلوب . ولكن هذا لا يلغي دور القصص وانما يؤكد ان تحقيقه أشد تعقيدا بكثير ، وان « الشكل» هو الذي يميز القصة عن سواها .

ـ ٢ ـ

قصة « النموذج » لنواف ابو الهيجاء تقدم مسحا تسجيليا للقضية الفلسطينية . فمن خلال طرح منظر عرضاني لحياة « الفلسطيني » منذ الميلاد حتى الالتحاق بالثورة المسلحة ، يحاول الكاتب ان يرسم ملامح نموذج للانسان العربي الفلسطيني اليوم . ولكي يحقق هذا الطموح ، فهو يلجأ الى شكل يصفه بـ (القصة ـ اللوحة) ... فثمة جميع المراحل التي تمر بها عملية انجاز اللوحة الفنية : « التكوين » و « الخطوط » و« الصورة » و(الالوان) ثم « ضربات الريشة النهائية » .

في « التكوين » يجد نفسه فيّ عالم من الرعب « وسط غابة من الشجيرات والاشواك .. ويأكل من التراب حتى الشبع » . وفي « الخطوط » يبدو الفلسطيني جائعا يتسلل الى « البرك القريبة التي خلفتها الامطار ليسرق الملح » . وفي « الصورة » تعصف الرياح وتتصاعد الصرخات في « سوناتا » من الابتهال . وفي « الالوان »تتردد الاماني دون انقطاع : ـ ان شاء الله يا رب .. ان شاء الله » .واخيرا تتوج اللوحة « بضربات الريشة النهائية » فيصبح الفلسطيني فدائيا مقاتلا و « يمتلىء نهدا أمه الضامران بالحليب » .

اذن فالقصة تروي تفاصيل معروفة من خلال لقطات وايماءات وصور ، وبالتالي فهي تنطلق من الفكرة القائلة بان القصة هي طريقة في القص . الا ان القصة تقع في احبولة التصميم الهندسي الجاهز الذي لا ينبع من التطور الطبيعي للقصة وانما يعتمد على خلاصات جاهزة . وهذا طبيعي جدا . فالكاتب يقدم نموذجا جاهزا بادوات جاهزة . ولذلك فنحن لا نحس بتأثير القصة الا من خلال مباركتنا الاخلاقية المسبقة .. ولا نتعاطف مع الشخصية الرئيسية التعاطف الانساني المطلوب الذي يمكن من خلاله نسج شرنقة واحدة على محور واحد ، قدر ما نتعرف مجددا على فكرة لسنا بحاجة الى التعرف بها مرة أخرى . ولعل الكاتب قد شعر ـ بعد ان قدم تصميمات هندسية مسبقة ـ بحاجة القصة الى تحطيم المدار المغلق الذي تدور فيه منذ البداية ، فاختتمها باستعارة ذكية جدا تتمثل في عملية الرضاع التي « اقتبسها » عن الروائي الاميركي « جون شتاينبك »في روايته « عناقيد الغضب » .

ومهما يكن من امر فأن قصة « النموذج » تشكل مرحلة متقدمة جدا على المحاولات والتجارب السابقة لنواف . والمهم الان ان تسبق حيويته في العثور على تصاميم هندسية جاهزة ، قدرة مماثلة على التقاط

ـ التتمة على الصفحة ـ ٩٥ ـ

تتمة ـ الابحـــاث

* * *

ان العربي الفلسطيني الذي يبحث عن ارضه الان ويقاتل من اجل استعادتها ، لم يكن في الواقع معزولا عن مختلف معارك الثورية العربية داخل الاقطار التي انتقل اليها منذ النكبة الاولى . فالطلائع الفلسطينية شاركت في مختلف مراحل النضال الثوري، وقدمت وضحت ، وهي تعي ان معارك الاقطار العربية التي وجدت فيها ،خلال مراحل النضال الوحدوي الاشتراكي ، انما هي مقدمات ضرورية لاقامة الدولة العربية الوحدوية التقدمية الكبرى ،القادرة على استرجاع فلسطين ، ومقاومة الامبريالية في كل جزء اخر من ارض الوطن العربي . ان الدكتور عصمت يسأل اصحاب النزعة الفلسطينية من المقاومين « لماذا لا تقاتلون من اجل ما هو اسمى واشمل، وتحاكمون القومية بما جنت ايدي الاقليمية ؟ » والحقيقة ان هذا السؤال يحدد جوهر المسألة كلها ، فاذا كانت هزائم مرحلة الصراع السابق مع الصهيونية قد تحققت من خلال الصيغة الاقليمية لوجود الدول والمنظمات والجيوش ، فهل يحق لطلائع المقاومة ان يبدأوا الان من الموقع الخطأ ذاته ، وهو تبني الاقليمية لمحاربة الاقليمية ، او لتجاوز الصيغة الاقليمية السابقة للصراع مع اسرائيل ،فيزيدوا بذلك الكم الاقليمي عددا جديدا !.

وهنا اسأل الاخ عصمت ، هل هو واثق حقا من ان المقاومة الفلسطينية يمكن ان تكون في وعي قادتها ، وفي ممارستها، وفي استراتيجيتها ، فلسطينية اقليمية حقا ؟ انني اشك في هذا . فان اكبر حركة للمقاومة وهي فتح، وهي التي يناقشها الاخ عصمت هنا، لا يبدو انها ترسم ايدلوجية في هذا المنحى الاقليمي . وهي ما زالت في مرحلة التعبئة المسلحة للمواطنين الفلسطينيين . انها تتبع تكتيكا ، تبدو له ملامح الثورة الوطنية المسلحة ، ولا تضع استراتيجية على اساس بلورة كيان تاريخي خاص لشعب تدرك انه جزء من ارومة القومية العربية ، في بؤرتها المتفجرة الاساسية من بلاد الشام ، بمصطلحها التاريخي العريق .

ولعل هذا النقاش يصح اكثر عندما يوجه الى بعض المنظمات الاخرى ، التي تتبنى منطلقات لبعض الاشتراكيين الاصطلاحيين القدماء الذين وصفهم الاخ عصمت بانهم من ذوي الفكر الجامد . فهؤلاء يرسمون صورة لمآل المقاومة الفلسطينية ، وهي قيام « دولة فلسطين الديمقراطية » الشعبية الخ ..

انني اود ان اضيف نقطة الى جانب النقاط الكثيرة الغنية التي اوردها الكاتب ، في محاورة هذا الموقف . فان اصحاب نظرية فلسطين الدبمقراطية ، يبدو انهم حينما يطلبون تأييد القوى الثورية العربية ، فانهم لا يميزون بينها وبين تأييد القوى اليسارية في الغرب . ولذلك يمكنهم ان يردوا على الداعين لقومية المقاومة ان يستثمروا هذه النقطة ، ويقولون ان تأييد القوى الثورية العربية لا يلزم المقاومة بالارتباط القومي . وقد يصح هذا القول الان على المرحلة الحاضرة . ولكن ،كما يشير الكاتب ، ما هو الموقف عندما ينتهي التحالف عند حدود ازالة آثار العدوان ، وتنطلق مرحلة تحرير فلسطين ؟ افلا تصبح المقاومة عند ذلك احوج ما تكون الى قيام قاعدة شاملة من العمل الوحدوي العربي الثوري ، تلتحم به عضويا وتستقطب منه جملة قواه ،لراس حربتها المهاجمة في قلب الوطن السليب ؟

وبعد فان محاضرة الدكتور عصمت سيف الدولة ، قد طرحت في الواقع مخططا يتصف بالشمول والدقة في ذات الوقت، لمحاولة التعقيل الثوري للمقاومة . وهو اول بادرة جديدة في هذا الموضوع الخطير ، الذي يملأ ساحة العمل الثوري اليومي ، اول بادرة مستقلة عن الدعاية والتجميد من ناحية ، ومجردة من ناحية اخرى عن محاولات الهضم والابتلاع الايدلوجي ، من مراكز العمل السياسي الرسمي والحزبي والفئوي .

وهذا المخطط يصلح للدراسة التفصيلية ، ولتوسيع غني، يتطلب جهود الاخ عصمت بموقفه المستقل ، ورؤياه الموضوعية ، وصوته القومي التقدمي العالي ، الى جانب جهود اخرى من قبل كتاب يلتقون معه في موقفه الاساسي .

ولا بد من الاشارة الى ان الاجوبة الرائعة التي اكمل بها المحاضر عرض جوانب كثيرة من موضوعه بناء على اسئلة الشباب الذين استمعوا الى المحاضرة ، هذه الاجوبة احسن الكاتب بنشرها ، اذ زادت الموضوع غنى ووضوحا . كما انها تصلح هي ذاتها منطلقات لموضوعات موسعة اخرى . ومن المهم ان ننتبه الى ان الدكتور عصمت استطاع ان يوفق تماما بين نزعته القومية والتحليل العلمي المبني على ايمان حقيقي بالاشتراكية ، خارج الاطر النظرية الجامدة . كما انه تمكن في الانطلاق من واقع التجربة العربية المتمثلة اولا في نزعتها نحو الوحدة والانبعاث الحضاري ، ليصل الى عمق التحويل الاجتماعي واعتبر ان الاحتواء الوحدوي الاي تغيير جذري في بنية المجتمع العربي ، هو الشرط التاريخي الاول لبناء تجربة تقدمية سليمة .

ان قيمة العرض الذي اتى به الدكتور عصمت تتضاعف كذلك، من حيث انه يكاد يكون الصوت الوحيد اليوم الذي يعلو مجددا، وسط صخب اليساريات الاقليمية ، ليعيد الوعي الثوري الى موقفه الطبيعي ، وهو صوت يساري عربي حقيقي، لا تأخذ به بوارق الادلجات اللفظية ، ولا تجرفه امواج التسطيح اليساري الطفولي .

فما لم يعترف به الوعي الثوري لما بعد الهزيمة ، هو ان المرد التاريخي الوحيد المؤهل لتغيير واقع الهزيمة ، هو تغيير اسبابه المتمثلة في التجزئة ، والمعالجة الاقليمية لمشكلات المصير العربي سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

وعلى الرغم من بداهة هذه الموضوعة ، وعلى الرغم من انها تملأ حس الجماهير ، وتكاد تكون على كل لسان ، فان الطبقة الثورية المحترفة ، ما زالت تتجاهلها ، وتغطي تجاهلها بمختلف الموضوعات اليسارية الاخرى . والخطر الذي تواجهه المقاومة ولا شك ، هو بناء استراتيجية ، تتجاهل هي كذلك ، الطبيعة الوحدوية لاية ثورية اصيلة .

ولعل المقاومة هي افضل تعبير وبرهان عن هذه الطبيعة الوحدوية ، لثوريتها . فاذا كان الشعب الفلسطيني يؤلف كتيبة الطليعة المقاتلة في مسيرة المقاومة ، فان القوى الثورية الاخرى هي الكتائب الرديفة لهذه الطلائع .

وما لم تنقلب المقاومة الى حركة تنوير للثورة العربية ، تمهد لبناء التنظيم الموحد، فانها ستبقى حركة جزئية ، ستشكو من الحصار والانعزال قريبا ، اذ تصبح هدفا سهلا لاشكال الاقليميات التي تحيط بها من كل جانب ، وتتجاذب اطرافها ،بل وتتغلغل فيها، لتجعلها قابلة للانكفاء على ذاتها ، فتسهل تصفيتها في الوقت المناسب .

ومن المؤسف حقا ، كما اشار الكاتب ، الى ان بعض الاشتراكيين الماركسيين ، بالرغم من سلسلة النكسات الهائلة التي لحقت بالثورة العربية ، قوميا واشتراكيا ، ما زالوا لا يعرفون سبيلا الى رفع الاولوية الماركسية الا من خلال القواقع الاقليمية والاطر الانفصالية ، وما زالت فكرة الوحدة لديهم تشكل هاجسا سلبيا ، ينفرون منه ، ويتجاهلون تحليله ، ويزوغون من مواجهته في جو من النور والمصارحة مع النفس اولا .

في حين ان الموقف العلمي قد انهى هذا الاشكال المصطنع منذ زمان ، فخرج معظم القوميين من غيبياتهم وطقوسهم الاحتفالية للمفاهيم العنصرية ، وخرج معظم الماركسيين بالمقابل ، من حرفية المصطلحات ، وادركوا اهمية الاحتواء القومي لاي تغيير اجتماعي تقدمي .

والان ، وقد فرضت علينا جميعا حقيقة المقاومة ، كواقع ثوري جديد ، وضع حدا لاشكال الممارسة الثورية السابقة ، فما احرانا ان نضع حدا كذلك لموافقنا النظرية السابقة . وهي مواقف كانت تتفلسف كلها حول ثورية ملتبسة ، لا تملأ الواقع الفعلي ، كما تملأه المقاومة الان .

لقد اوضح الكاتب من خلال أجوبته المركزة ، الكثير من نقاط سوء الفهم التي يتبادلها احيانا الفريقان المتحاوران حول : هل الثورة العربية ، وثورة المقاومة ، انفع لها ان تكون اقليمية ثم تصبح قومية ، او بالعكس !

والسؤال مغلوط من اساسه ، كما بين الاخ عصمت ، اذ انه يفترض امكان قيام ثورة حقيقية داخل الاقليم . في حين سيكون مصير مثل هذه الثورة التعثر والاجهاض والتزييف ، ان لم يكن لها افق وحدوي على الاقل تتحرك نحوه . فلا يمكن القول اذن باسبقية شكل على اخر ، اذ كل ثورة هي قومية تقدمية من حيث انها تطلب نفيرا جذريا في اسس حياة شعبها ، ولا يمكن لهذا التغيير الا ان يصاب بامراض النماذج الاقليمية المعروفة ، ان لم يتجه الى الانفتاح الوحدوي الحقيقي .

اذن ليس ثمة تناقض فعلي بين الثورة الوحدوية ، والثورة الاشتراكية ، من خلال تجربة الثورة العربية على الاقل . ذلك ان التحويل الاشتراكي يتطلب مجتمعا متملكا اولا من مصيره الاستقلالي، ومن امكانياته الشعبية والمادية ، ضمن اوسع نطاق ، وهذا لا يمكن ان يتوفر في ظل الدويلات شبه المستقلة ، والتي تواجه خطر الامحاق من عدو واع ، يتمثل في الصهيونية على حدوده القلقة المهددة، وعلى اجزاء من ارضه ، ويتمثل في الامبريالية التي تجرف استقلاله بمختلف صور المساومات والاجهاضات ، والمضاعفات المصطنعة .

وتأتي المقاومة لتضع المصير العربي كله موضع المواجهة الشاملة ، فهي ملزمة له الان من حيث انه مطالب بتقديم اعلى امكانياته ، وملزمة له من حيث النتيجة ، فأن فشلها سينزل محنة رهيبة به ، كما ان انتصارها سيفتح له طريق تحقيق اهدافه الوحدوية التقدمية .

فلا يمكن ان تدعى المقاومة فلسطينية الا اصطلاحا لا يميزها الا من حيث الشكل ، وان تجربة الصراعات الخلفية التي تخوضها في خطوطها الخلفية ، قد وحدت بينها وبين الثورة العربية الجماهيرية ، التي تتحرك الان في محاورة المقاومة داخل الاقاليم ، وسوف تتحرك اوسع واشمل ، لتحقق المنعطف التاريخي المنتظر لمستقبل الثورة العربية ككل .

واخيرا إمنية للدكتور عصمت ان يوسع هذه المحاضرة ، وان يقدمها في كتاب مستقل . ذلك انها صوت مفقود ومطلوب في معركة المقاومة الفكرية .

* * *

في العدد الماضي بحثان ادبيان ، كان يمكن للناقد ان يتعرض لهما بشيء من التفصيل ، لولا ان مناقشة البحث الفكري الهام للدكتور سيف الدولة ، قد طغت حجما ، وليس كيفا . اذ ان لهذين البحثين قيمتهما الخاصة كذلك . فمعذرة من الكاتبين لعدم استيفائهما حقهما من المناقشة ..

واكتفي ببعض النظرات العامة حول المقالين .وابدأ بمقال الاخ محمد الجزائري ، الذي يعرض دفاعا ممتازا عن اصالة شعر المقاومة، ويرد على بعض نظرات غالي شكري ، التي تعتبر شعر المقاومة من النوع المعارض والنوع الاحتجاجي ، ولا نريد ان نتوغل بقيم التلاحم الثوري لشعر المقاومة مع فعالية المقاومة . والاخ الجزائري يدافع بحرارة عن اصالة هذا الشعر ،ويحشد لذلك اطارا ثقافيا ماركسيا لتحديد وظيفة هذا الشعر . ولكنه بذلك تحاشى دراسة عوامل القوة في فنية هذا الشعر وفي محتواه الداخلي . وبقي يدور حول اهمية « الوظيفة » الثورية لشعر المقاومة بصورة عامة . ولقد اقتنعنا باهمية هذه الوظيفة لكل شعر مقاوم ، ولكنه لم يبين لنا كيف كان شعر المقاومة الفلسطينية مؤديا لوظيفته الثورية .

والمقال الثاني هو دراسة نقدية لمسرحية (السلطان الحائر) لتوفيق الحكيم ، كتبتها الشاعرة المبدعة (نازك الملائكة) . والشاعرة قد خاضت مجالات الدراسات النقدية منذ القديم ، وكانت لها جولات موفقة خاصة في عرضها وتقييمها لمشكلة الشعر الحديث، وكان ما زال في بداية تكونه . والدراسة الحاضرة تكشف عن قدرة تحليلية تفيد من ثقافة جيدة حول الاعمال المسرحية ومذاهبها . ولقد اعطت الكاتبة صورة مفصلة عن ادوار الاشخاص وعقد المسرحية ،وحركتها الدرامية ،، وان تحاشت الخوض الصريح في معاني هذه المسرحية التي كتبت اصلا لتخدم غرضا رمزيا يفرض نفسه على القارىء او المشاهد منذ الاسطر الاولى . ولكن السيدة نازك قد اسهمت في اثارة شخصيات المسرحية كما تبدو من خلال فعلها المسرحي . وكشفت عن دقائق رائعة من هذا العمل الفني . وتناولت بالتحليل كل شخصية على حدة.

وهذا ما جعلها تغفل نمو العلاقات الدرامية احيانا من خلال تفاعل الشخصيات . وقد اكتفت الناقدة بنمطية مدرسية في تحليل الادوار، في حين ان المسرحية قابلة حقا لتجاوز الاسلوب النمطي، والدخول احيانا في مجالات المسرح التجريبي . اذ ان القاضي لا يبقى ذاته ،وكذلك الغانية ، وكذلك السلطان ،بل ان هؤلاء البشر ينبثقون من مواقف متصالبة ، ومتناقضة . ولقد حاولت الكاتبة ان (تفسر)هذا التناقض باسلوب تفصيلي ،في حين ان الافعال الدرامية ، كان ينبغي ان تفسر بواقعها الدرامي ذاته ، بدلا من ادخال المعقولية على سياق الحدث الفني .

ومع ذلك فان السيدة نازك كانت واعية لمنهجها الاقرب الى النزعة المدرسية ، ولربما كانت لها قناعتها الخاصة بهذه النزعة .

وهي قد طبقت منهجها بدقة وبراعة ، واعطتنا دراسة متوازنة تصح مدخلا لمناقشة هذه المسرحية ، ومحاولة فهمها وتقييمها من وجهات نظر اخرى .

مطاع صفدي

مكتبة انطوان

فرع شارع المير بشير

الحرب العالمية الثانية

في مجلدين

مع جميع الكتب العربية

ـ تتمة ـ القصائد

* * *

تجاوز النفس الخيرة وشفيعه انه ما يزال في مقتبل الشعر .

الملاحظة الاولى على القصيدة تكاد تنسحب على غالبية شعراء الموجة الجديدة الشبان في الوطن العربي ، وفي العربية المتحدة بشكل خاص انهم هنا غاضبون ، ولكنهم ليسوا سلبيين بشكل مطلق ، لقد كدت اصفق للشاعر في سبيله لولا انه انتهى في كلمات القصيدة الاخيرة الى الدعوة للرحيل وربما الهرب ، هذا الجيل الآتي بعدنا اكثر منا نزقا ، ولا اقول حماقة في رؤياه الوطنية ... وملاحظة قد تبدو جانبية، لاحظتها على اكثر من كاتب من القطر المصري ، ربما كان سببها احد اخطاء كتابة تاريخنا في بداية عصر النهضة الملفوم في اكثر من قطر عربي ، ان هؤلاء الشعراء يذكرون الهكسوس على انهم غزاة واجانب وربما مستعمرون في تاريخ مصر ... مع ان هؤلاء الهكسوس ، هم موجة عربية نزلت الى وادي النيل واعطته لاول مرة بوضوح طابعه العربي قبل الاسلام بمئات السنين .. فلماذا يتحدث عنهم اخواننا عرب مصر وكأنهم غزاة أجانب جاءوا من البانيا ؟؟

على كل حال في (محاورات) المناصرة جمالية تشف عن موقف سياسي فكري ، متشائم ـ كما وصفت الجو العام لقصائد العدد ـ هذا الموقف يبدو فيه تشنج ما احببته في القاهرة ، بدت لي طبقة المثقفين وكأنها تقف سدا ما بين نوايا السلطة الطيبة في الثورة .. وروح الجماهير الرائعة ، لاحظت ذلك في المقاهي ـ التي تأوى اليها « الانتليجنسيا » وحتى في الاحياء القديمة حيث شعراء العامية ... وحزنت !

على ان شفيع الشعراء من أمل دنقل الشرس فيما يكتب حتى عز الدين المناصرة هو بوادر شاعرية رائعة ... كنت أود على كل حال الا ينتهي المقطع الاخير الرائع في القصيدة بما انتهى اليه كما قلت ، فبعد التهديد « للباب العالي » بثورة الفقراء التي قد تأتي عليه ونمرغ نياشينه ومجده بالتراب وبعد التبشير « بالبلاد الجديدة » يقول « فاني أتيتك في داخلي نية للرحيل » فهل يخيف احدا تهديدنا بالرحيل ؟؟

والقصيدة الرابعة هي « نداء سلام » لفاروق شوشة . وهذا الشاعر ليس بالجديد على قراء الآداب بشكل خاص ، وقد اعطى في السنتين الاخيرتين قصائد جديدة تحمل اكثر سمات الشعر الجديد تخلص منها على الاقل ـ من مباشرته الشعر التقليدي وشعارياته ، اما هنا ـ في هذه القصيدة ـ فانه يبدو متلجلجا ، مرتبطا ، مأخوذا بحماس طيب ، لقد قتل القصيدة المتقافزة بين الشعارات الايديولوجية والملمح اللطيف ، الضائعة ـ كمضمون ـ بين الشعور الانساني التقدمي والحس القومي وحتى الحماس الديني ، وبودي ـ أخشى ان يزعجه رأيي بعد اعجابي بقصيدته الاخيرة في مجلة الهلال ـ لو انه جعل موضوع قصيدته هذه السياسية الانيقة ، نثرا يصف فيه الانطباعات عن رحلته الميمونة الى البلد الصديق العزيز .

الصفحة الشعرية الخامسة ، هي (قصيدتان للشيء المنسي) للدكتور وصفي صادق ، وليعذرني القراء لتشاؤمي من لقب دكتور في الشعر ، ومرة اخرى لا بد من استثناء خليل الحاوي . ومع ذلك فان القصيدة الاولى « جواسيس خلف كواليس السماء » جيدة وجريئة ، واسلوبها جديد ، معاصر ، الا ان الفكرة منها مع خلاف في التناول ذكرتني بقصيدة للمفكر الفرنسي (جويو) فذاك ركب على جناح ملاك وارتفع ، وكلما اوغل في ارتفاعه صدعت رأسه اكثر تأوهات المعذبين والمضطهدين حتى انه رفض ملكوت السماء في ذروة ارتفاعه : وقال انني اكثر انسانية من تحمل كل هذا وركل مطيته فعاد الى الارض ، اما هذا فقد فتح ثقبا رأى منه نفس الرؤيا فارتعش القلم بيده ... واعاده للواقع ... وليس خافيا ان شبح صلاح عبد الصبور يحوم بين الكلمات ..

اما قصيدة الياس لحود لعام ١٩٧٠ عن الحب والشعر والكفاح ، فما رأيت منها شيئا عن الكفاح ـ وهو ليس ضروريا تماما دائما على كل حال ـ واخشى ان يتهمني الشاعر بعدم الفهم ، او عدم ادراك ما بين السطور ، وربما ما بين الاحرف ، ومهما يكن ، فان القصيدة ولا بد من شعر الشباب الطالع المباركة خطواته الثائرة ، انها مزيج لطيف من خليل الحاوي وأدونيس والسياب ... رحم الله السياب ..

وقبل هذه هنالك قصيدة لنصار محمد عبد الله من ديوان « الهجرة من الجهات الاربع » الذي ارجو له الرواج ، وهي قصيدة رشيقة تشبه الوتد ينغرز في قاع النفس فيها براعة شعرية وارتباط عضوي ، ولكنها تمثل زوغان النظر في رؤيا ساذجة ...

وبعد ذلك تأتي قصيدة شاعر معروف ايضا هو سعد دعبيس ، عنوانها « يوميات مدرس غاضب » وهي من قصيدة المواقف الايديولوجية اذا جازت التسمية ـ فيها تصوير كامل ليست لمدرس غاضب وانما لانسان مقهور يغضب ... ولكنها ذكرتني قسرا بـ « كلمات سبارتاكوس الاخيرة » لامل دنقل ، مع معرفتي ان الشاعر اقدم سنا وارسخ بنيانا ، واطول باعا في دنيا الشعر من أمل ... بل ان « البكاء بين يدي زرقاء اليمامة » تطل ايضا ـ رمز عنترة في بني عبس ـ عند الدنقلي في قوله :

قلت : ان عنترة
كما رأى صمت العبيد يقتل العبيد
وان اغلال العبيد لم تجيء من خارج الحدود ...
القى بلا ... في وجه سيده
وصاح : لن اخوض الحرب والاغلال في يدي
فليس اعدائي هناك اقسى من بني عبس هنا
هناك او هنا
مضمون قيد واحد
تعددت اشكاله ... والموت واحد
وأعلن المواجهة ...

ويختتم القصيدة الطويلة (بالتنغيم) على نفس الوتر الذي نغم عليه كثيرون من شعراء « الحزيرانية » الانظمة قاسية ، لا حرية ، الكل عيون على الكل ... والدنيا سواد ... يبدو انها غدت لذة عند شعرائنا هذه السلبية التي لها طعم حينا وليس لها طعم أحيانا ... ترى ماذا يريدون .. ماذا يريد الدنقليون الطيبون ؟؟

على كل حال ـ لولا توارد خواطري الخبيث ـ لكانت هذه القصيدة من افضل قصائد العدد .. واما (الاحداق المهاجرة) لحبيب صادق فانها تمثل اكثر شعره ، هذا الشعر المنطلق من نفس طيبة تحب البسطاء والمضطهدين ، وتكرس موهبيتها للدفاع عنهم ولو بعرض مآسيهم ، وهي شعريا محاولة حسنة لتخطي النفس ، الا انني لست ادرى لماذا ـ ربما ـ « لثورية » الشاعر وغضبه « لاهله المنشورين على حبل النفي والموت في قرى الجنوب الامامية » احسست بان الالفاظ في الصفحة البيضاء شبيهة بنوع من الحشرات المتخشبة ، حتى لتكاد الحروف تنشب اشواكها في اذن او عين القارىء .. الا ان المضمون طيب والبساطة في الاداء قد تكون احيانا افضل من الغموض حتى في الشعر الجديد .

اما القصيدة الاخيرة ـ لقد الهمني الله الصبر ـ فهي ذات عنوان ظريف « هجائية من مهرج الى اغبياء » لحميد سعيد من العراق .. واحسب ان الشاعر واحد من تلك المجموعة الحلوة من الشعراء الشباب المثائرين على السموات والارض ـ بنوع من « الهيبية » الشعرية ، يصرخون في ابواق مكبرة ، بزعيق يقلق حتى راحة الموتى ليقولوا ها نحن اولاء ...

ولهم الحق أن يفعلوا بالطبع ، فبغير زعيق وجلبة لا يولد النور من الظلام ، والقصيدة هي ايضا صرخة ، نوع من تأكيد الذات ، من الزعيق في الشارع او على السطوح للفت الانتباه ... لكنه كما قلت ـ الزعيق الذي احبه مهما كان ، في الفن ـ انه بشير ونذير ولادة جيل ، ربمـا لم تكن الصرخة « بالذات هي هذا البشير » ... ربما كان في ختـام القصيدة الجيدة شعريا ما يغني عن الحديث عنها :

« تبقى اصوات الموتى بين الجدران تدق على ابواب الغير
صوتي مرآة للاعذار المختنقة .
أما الكلمات المحترقة .
الرعب القادم من خلف زجاج الاحلام الدبقة .
عصر محمـوم داهمنـا
عطل فينا لغة ، الهمس ... وعرانا » .

... وبعد ، كان بودي ـ مرة اخـرى ـ الا اورط نفسي فـي التصدي لكل هذه الرياح المقبلة من ديارنا الحبيبة ، ولكنني وعـدت ، ولست بنادم على ما فلت على كل حال . بل انهـا لمتعة ان « يورط » الشاعر نفسه بين الحين والحين في اسلاط لسانه على الآخرين .

دمشق — علي الجندي

* * *

ـ تتمة ـ القصص

اللقطة القصصية المتكاملة الابعاد والتي ينتظمها خيط نفسي واحد . فالقصة اولا واخيرا اشبه شيء بطلقة مسدس .

وهذا يعني انها ينبغي ان تتحرك عبر محرك واحد لكي تحدث الاثر المطلوب . ان عليها ان تنطلق من الخاص الى العام ، من الفكرة الى التصميم . ان رواية « يوليسيس » لجويس هي قصة قصيرة في جوهرها . وهي منفذة ضمن تصميم معقد حاول « جويس » ان يثبت فيه تفوق العقل على الآلة . الا اننا لا نرى التصميم ظاهرا ، وانما هو مضمر ، علينا محاولة اكتشافه . ان على الكاتب الا يدع «التصميم» يمنح نفسه منذ المعاشرة الاولى .

ـ ٣ ـ

« الحكاية » لنيروز مالك تشبه « النموذج » الى حد كبير. كما انها تسقط بدورها في أحبولة التصميم نفسها . فهي تقدم ـ من خلال تخطيط هندسي مسبق وظاهر ـ صورة لثلاثة رجال فلسطينيين ينطلقون في سيارة باص متجهة الى مخيمات اللاجئين .. ويريد الكاتب اعتبارهم « انماطا » تصور الواقع الفلسطيني في شتى وجوهه : الرجل الاول يمضغ ذكرياته عن فقدان الارض والتشتت والضياع وليس امامه غير مركز الاعاشة .

والثاني يستعرض حياة البؤس والفاقة بعد « الخروج » وليس امامه غير مركز الاعاشة . والثالث تمر في خياله صورة استشهاد اخيه في « غـزة » بعد أن نظر خارجا في الليل :« حيث المطر يسقط رذاذا على زجاج نافذة السيارة ، والبرق يومض في اعماق الفيوم ... فتلمع اطراف كتلها السود على داره المؤلفة من اربع غرف في يسان ... واشجار الزيتون والبرتقال في الحقل القريب ..» فيقرر رفض الذهاب الى مركز الاعاشة ويترجل من السيارة ثم يقف محدقا في الليل الحالك مستبينا طريقه : لقد تم الحلول اذن ، وها هو يقف وجها لوجه امام الطبيعة :« وكان الجو ينذر بعاصفة رعدية ، والارض تفوح منها رائحة المطر الذي توقف عن الهطول .. وجاء صوت الرعد من بعيد .. من أعماق اعماق السماء .. ثم انتشر فوق رأسه .. ووميض البرق في بطن الفيوم ... واشعل مساحات واسعة منها ... »

تتميز هذه القصة بقدرة طيبة على الربط بين اطراف الموضوع. الا انها ترى الواقع من منطلقات « مثالية » . ولذلك فهي تقع ضمن المباشرة ، والانطلاق من عالم الفكر الى عالم الواقع وليس العكس .. كما يفترض في القصص عادة كشرط اساسي لتجنب التجريد . ثم ان نظرة الكاتب الى الانتماء يجب ان تتم من خلال ادوات ومواقف اشد عمقا ، وأقل سذاجة من تلك التي عرضها الكاتب . فهو يريدنا ان نقتنع بأن مجرد تذكر الشخص الثالث في« الباص » لذكرى استشهاد اخيه ، يكفي رفض الاعتماد على مركز الاعاشة . وهو يفلح في ذلك للوهلة الاولى . الا انه يعتمد ـ لتحقيق هذا ـ على انطباع القارىء الناتج عن تعرفه على ابعاد المشكلة من خلال راكبي السيارة الاولى والثاني . ان القارىء يعد ان يطالع ـ اطروحة القضية من خلال ذكريات وتصورات الراكبين ـ لا بد ان يقتنع بأن الموقف قد وصل الى لحظة « التفجير » عندما تتكامل ذكريات وتصورات الشخص الثالث مع الاول والثاني . غير ان هذا الشخص الثالث لا علاقة مباشرة تربطه بالشخصين السابقين . وبالتالي فان رفضه لمركز الاعاشة يجب أن ينظر اليه انطلاقا من الاطروحة النفسية المنفصلة التي يقدمها الكاتب عنه ، وليس من خلال تكامل صورته مع صورة الفلسطينيين الاخرين.

واخيرا ... فالقصة تشكو من المباشرة ، والتعميم ، وتحميل الكاتب افكاره للشخصيات .

ـ ٤ ـ

«رجل على الاكتاف » من اسوأ ما قرأت لعبدالرحمن مجيدالربيعي. فهي مشبعة بحصيلة العيوب الفنية لقصصه السابقة مجتمعة من حيث كون النسيج القصصي لديه غير مستقر ، ومشبع بالتوتر اللفظي،والروح الخطابية ، والمباشرة . وكما سبق ان قلت عن قصص سابقة للربيعي (٢) فقد شعرت لدى مطالعتي لهذه القصة « بانني أكاد اسمع ضجيج آلات الحياكة التي نسج بواسطتها نسيج القصة لديه ».

ثم ما هو الهدف من كتابة « رجل على الاكتاف » اصلا ؟.. واين هي اللقطة القصصية ذات البعد الانساني في هذه القصة ؟ ... وهل يكفي ان يكون بطلها فدائيا حتى تحوز على جواز المرور البديعي والاخلاقي .؟..

(احب ان اذكر الاخ الربيعي ان كلمة « تتـرى » ليست فعلا مضارعا) .

ـ ٥ ـ

تحاول « قطعة سلاح يا رب » لاكرم شريم ان تقدم بشكل مباشر، وبهدف مفضوح منذ البداية ، صورة للكهل يدعى « أبو احمد » ، فيما هو يبحث عن قطعة سلاح بين جثث القصف الاسرائيلي للسلط . والقصة يلخصها « اكرم » كاملة في السطور الثمانية الاولى .واكثر من ذلك فان عنوان القصة يختزل بدوره هذه السطور دون ان يبقى للقارىء شيء يسعى لاكتشافه بنفسه . واخيرا ينهي الكاتب القصة بحكمة مفادها ان على « ابي أحمد » ـ بعد ان عثر على رشاش محروق ، ورأى « بسذاجة غريبة » ان النابالم (تأكل حتى الرشاشات) ـ ان يسرع في المرات القادمة : « فهذا الرشاش قد مات لان أحدا لم يسرع في انقاذه » .

---

(٢) ... « اقنعة بلا وجوه » ـ مجلة « الطليعة » الدمشقية العدد (١٦٣) .

هذه ليست قصة ... وانما هي صورة صحفية تعوزها القدرة على الاقناع والتأثير .

ـ ٦ ـ

« الزنبقة في ظل السقوط » للطفية الدليمي هي سرد عصابي غير متقن لمشاعر أم تواجه محنة فقدانها لابنتها في عملية جراحية بعد ان تخلى عنها زوجها وذهبت بصحبة رجل اخر (لا يحب الاطفال). ثم تنتهي القصة بنجاح العملية والدعوة الى لمّ شمل الاسرة : « أبي طيب نعود اليه » .. « نعود اليه يا حبيبه » .

هذه القصة تفتقر الى خاصية الاقناع . فهي مروية من خلال غلالة من الكلمات اللاهثة التي تزج بها في اسار رومانتيكية ساذجة تؤكد ان تجربة القصة « او عملية تمثلها » مفتعلة . فكأن الكاتبة تنظر الى صورة الاحداث بامتنان ، من خلال مسافة ، فتعجز عن تمييز حدودها ومعالمها الخارجية والنفسية (ETHOS) وبالتالي فهي تسقط في متاهة من التصميم والابهام . يقول الناقد « فرانزهبارد » في تعريف الجانب المرضي (العصابي) للرومانتيكية بأنها : « فتنة المسافة » : CHARM OF DISTANCE (٣) اي ان من خصائصها المرضية النظر الى الواقع بافتتان ، من خلال مسافة تضيع ابعاده الحقيقية . وفي هذه القصة يتحقق هذا التعريف على افضل وجه . وبالتالي فالكاتبة توحي على الفور ، بعدم وضوح ما تريده من القصة . لا بل ان الهدف النهائي من كتابتها يظل بحاجة الى قدر عظيم من التبرير .

ملاحظات عامة

١ ـ معظم القصص المتناولة يدور حول « المقاومة » وكأنها ملكوت معزول عن نسيج الحياة .

٢ ـ لا تظهر القصص اية وشيجة تربط الثورة الفلسطينية بأرضيتها العربية . كما لا يجري أي تفاعل بين الطرفين . (لو كان البطل فرنسيا او انكليزيا لما تغير في الامر شيء على الاطلاق) .

٣ ـ على الرغم من ان القصص تدور حول موضوع اصبح واضح الابعاد ، فان الافتعال فيها ظاهر ، ولا تدل على امتلاك كتابها للحد الادنى المطلوب من المعرفة بموضوعاتهم .

٤ ـ لا تعبر القصص لا عن نمو في الذاتية ولا عن ارتباط بالمجتمع ، وانما هي مجردة عن البعدين الذاتي والاجتماعي معا .

٥ ـ القيم تقدم جاهزة ـ بسذاجة ـ ودون (صراع) يبرز انتصار قيمة وتثبيتها على القيم الاخرى .

٦ ـ كتاب القصص مولعون بالكتابة من أجل الكتابة نفسها .. دونما وجود هدف واضح ومحدد لهم من ممارسة هذه العملية المعقدة .

٧ ـ تمثل القصص نكوصا خطيرا عن الاشكال والمضامين التي حققتها القصة العربية ، وتؤكد ان اصحابها ما زالوا يراوحون على ارضية محاولاتهم الاولى .

٨ ـ الاشكال القصصية المستخدمة نابعة من روح ميلودرامية ونزعة تزيينية مسبقة ، وليس من الحاجة الماسة الى التعبير .

دمشق — **خلدون الشمعة**

(3) WRITRS OF THE western world
By FRANZ HIBBARD

صدر حديثا :

تحديث العقل العربي

للدكتور حسن صعب

دراسة علمية عن الثورة الحديثة الشاملة ، والتغييرات المنهجية اللازمة لتحقيق التقدم العربي ، ودعوة لاعطاء الاولوية لتحديث العقل العربي وتحويله من صناعة الكلمات الى صناعة الاشياء .

المعجم الذهبي

فارسي ـ عربي

اضخم قاموس فارسي ـ عربي ظهر حتى الان ، تأليف الدكتور محمد التونجي .

المورد

قاموس انكليزي ـ عربي

طبعة ثالثة تشتمل على اضافات كثيرة ولوحات ملونة

تأليف الاستاذ منير البعلبكي

الناجحون

مجموعة كتب للفتيان والفتيات ، تعرض حياة نخبة من ابطال العالم في الشرق والغرب ، في الحرب والسلم ، رجالا ونساء ، قديما وحديثا .
ظهر منها حتى الان : زنوبيا ـ خالد بن الوليد ـ نابليون بونابرت ـ بتهوفن ـ طارق بن زياد ـ هنيبعل ـ مدام كوري ـ كولومبوس ـ عبد الرحمن الداخل .

دار العلم للملايين
بيروت